المقدمة والتمهيد

فـــى عصرنا الحالى التى تختلط فيـــه المفاهيم والرؤى ويتكاثر العدوان والتقاتل والتناحر بين البشـــر تـــبرز أهمية التعـــرف إلى الرؤية المنطقية الصحيحة التى تؤكد نبذ (الإســـلام) للفكر الإرهابى الذى يشـــجع قتال جماعة لأخرى، مهما كانت الأســـباب، مما ينأى بالبشـــر عن مشـــاعر الأخوة، والمحبة والتسامح، والتعايش الآمن.

وقد أكدت الأديان الســـماوية جميعها هذه الرؤية، والإسلام باعتباره خاتم الأديان أكد فى كتابه العظيم، «كتاب الله القرآن الكريم»، كل هذه المعانـــى النبيلة كما أن النبى (محمدًا) ﷺ أكد فى أحاديثه وفى ســـنته على مناهضة العدوان، والإرهاب وقدَّم فى حياته، وفى دعوته للإســـلام الصورة الصحيحة (للجهاد)، والتى اتبعها السلف الصالح من بعده.

ويحاول بعض المغرضين إلصاق التهم بالإسلام والتأويل الخاطئ لبعض آيات القرآن الكريم الخاصة بالجهاد، وإغفال أن الإسلام دين الرحمة، والتســـامح، والسلم، والتعايش وأن الجهاد فى الإسلام دفاعٌ، عن الدين والوطـــن، والعرض، وقد طرح هذه الرؤية الحقيقية للجهاد فى الإســـلام كثير من المفكرين والكتاب المنصفين، من المسلمين وغير المسلمين، الذين يدعون إلى فهم صحيح للإســـلام وقيمـــه، ومواقفه التاريخية، وحضارته الأصيلة.

وكلمة «الجهاد» مشتقة من جذر «ج. هـ. د» وهي تعني بذل الوسع.

والكلمة تحمل معنى آخر وهو بذل الإنسان كلَّ ما في وسعه وطاقته وتحمُّله المشاق في سبيل الوصول إلى هدف معلوم.

وقد كَسَبَ مفهوم الجهاد ميزة بظهور الإسلام إذ صار عَلَمًا على تحقيق إيصال الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى بإزالة العوائق[1].

و«الجهاد الأكبر» هو بذل الجهد والسعي في تعلم القرآن الكريم والاقتداء بأوامر الخالق سبحانه، والانتهاء عن نواهيه وتعلم سنة رسول الله ﷺ وما أثر من أقواله وأفعاله ومجاهدة النفس حتى تصفو الروح، وتسمو الأخْلاق ويكون الإنسان من المُفْلحين السُعداء في الدنيا والمُنعَّمين بالجنة في الآخرة.

أما «الجهاد الأصغر» فهو جهاد الأعداء، الذين يبدأون بالعداء وقتال المسلمين، وظلمهم، وتهديدهم والاعتداء عليهم.

في الجزء الثالث من القسم الأول من الكتاب الهام للأستاذ (فهمي هويدي) الإسلام والديمقراطية تحت عنوان (آيات السيف).

يعرض الأستاذ هويدي لآراءِ بعضٍ من أبرز فقهاء مصر في القرن الأخير في موضوع (الجهاد في الإسلام) من خلال تفسير كل منهم لآيات (سورة التوبة) من منطقه ورؤيته الخاصة وكذلك (سورة الأنفال)، وقد رأى أن الأستاذ (سيد قطب) تفرد بتفسيره الذي قال هويدي عنه: «لولا المكانة الخاصة والبارزة التي يحتلها مفكرنا الكبير، ولولا تأثيره

---

(١) محمد فتح الله كولن – إعلاء كلمة الله أو (الجهاد) – دار النيل للثقافة والنشر ط١ ص٩١ سنة ٢٠٠٦.

المرصود على قطاعات عريضة من الإسلاميين لعُدَّ كلامُه فى هذه النقطة شذوذًا لا تنبغى الإشارة إليه فضلا عن مناقشته»[1].

ويرى الأستاذ هويدى: «أن تأويل النصوص القرآنية من البعض أسهم بدور لا يُنكر فى صنع الإشكالية وتلغيم علاقة المسلمين بغيرهم».

وذلك أنه ثمة لغم زرعه البعض فى الطريق الذى يصل بين المسلمين والآخرين اسمه (آية السيف).. هى ليست آية فيه بل «هى آيات ثلاث يجمع بينها أنها وردت فى سورة التوبة»[2] وهى:

- ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة - الآية ٥]

- ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة - الآية ٢٩]

-﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة التوبة - الآية ٣٦].

---

(١) فهمى هويدى - الإسلام والديمقراطية - مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة ١٩٩٣ ص٣١.

(٢) فهمى هويدى - الإسلام والديمقراطية - مطابع الأهرام التجارية سنة ١٩٩٣ ص٣١.

أما الأستاذ (سيد قطب) فقد رأى أن (سورة التوبة) فى مجملها تشكل منعطفًا حاسمًا فى طريق علاقة المسلمين بغيرهم، المنعطف هو الآية (٢٩) التى تقول: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ .. ﴾، فى تفسير الظلال) جـ٣ ص١٥٦٤.

ويؤكد أن النصوص الخاصة بالمسالمة، ورفض العدوان، والحرب الدفاعية ما هى إلا (تكتيك) إسلامى مؤقت، بينما الاستراتيجية، هى تلك التى أنزلت فى (سورة التوبة) ومن قبلها (سورة الأنفال) التى تناولت قضية (الجهاد)...

وعالج الأستاذ قطب فى تفسيرها ما أسماه المنهج الإلهى فى (الجهاد المطلق).

ومضى فى تفسير آيات (سورة التوبة) من منطلقه هذا..

ومن المهم التأكيد أن أبرز فقهاء مصر فى القرن الأخير، من محمد عبده، ورشيد رضا إلى الشيخ محمد الغزالى، مرورًا بالشيخ الخضرى، وشلتوت، وعبد الوهاب خلاف ودراز، اجتمعوا على الاختلاف مع أفكار قطب عن الجهاد. لذا كانت رؤية قطب وحيدةً متناقضة.

فالشيخ رشيد رضا صاحب المنار: يشير إلى أن آية السيف تتراوح بين الآية الخامسة من سورة التوبة الداعية إلى قتال المشركين بعد انتهاء الأشهر الحرم والآية ٣٦ التى تدعو إلى قتال المشركين كافة كما يقاتلون المسلمين كافة، ويستشهد بما قاله السيوطى. مِن أن أيًّا من الآيتين ليس ناسخًا لغيرهما من الآيات التى تتناول علاقة المسلمين بالمشركين، ولكن كلًّا منهما تقرر حكمًا يسرى فى ظرف معين.

وانحاز (الشيخ رضا) إلى الرأى القائل بأن الدعوة إلى مقاتلة المشركين هى رد على مبادأة المشركين بالقتال، وأن المقصود بالآيتين مشركو جزيرة العرب وليس كل مشركى الأرض.

وفى تعليقه على الآية (٢٩) الخاصة بأهل الكتاب فإن (صاحب المنار) وشيخه (الإمام محمد عبده) يذهبان إلى أنها لا تمثل ذلك المنعطف الحاد الذى عبَّر عنه الأستاذ (سيد قطب) من حيث إنها نزلت فى قتال أهل الكتاب، وأن نزولها جاء تمهيدًا للكلام فى (غزوة تبوك) مع الروم من أهل الكتاب بالشام والخروج منها فى زمن (العسرة والقيظ) فضلًا عن أن المقصود بها ليس كل أهل الكتاب ولكن فريق منهم له شروط أربعة معينة ذكرتها الآية الكريمة، هنا يذكر (الشيخ رشيد) نقلًا عن الإمام (محمد عبده) أن القتال الواجب فى الإسلام إنما شرع للدفاع عن الحق وأهله وحماية الدعوة ونشرها ولذلك اشترط فيه أن يقدم عليه الدعوة إلى الإسلام.

ويعقب على الآية قائلا: إنها تعنى قاتلوا – هذا الفريق من أهل الكتاب – لكن الحقيقة التى يُؤكدها هذا الكتاب أن الرسول ﷺ وصحبه الكرام، ثم السلف الصالح من المسلمين الأوائل، قاموا بفتح العديد من البلدان والأمصار، ونشر الدعوة الإسلامية دون لجوء إلى القوة أو القهر أو العدوان وإنما الثابت من خلال كتاب اللهِ العظيم، «القرآن الكريم»، ومن سنة النبى محمد ﷺ، ومِن أقواله وأفعاله التى أثرت عنه، أن انتصار الإسلام، وقوة حضارته اعتمدت على اهتمامه بالقيم الأخلاقية، والضوابط الإنسانية وهذا ما أكده الكُتَّاب والمؤرخون على امتداد التاريخ.

لقد اعتمد (الجهاد فى الإسلام) على الإقناع والحجة والمنطق، واهتم بتكريم الإنسان، مهما كانت مِلته دون إكراه أو إجبار. واحترم عقائد الشعوب التى فُتحت بلادُها.

إن المنهج الصادق العظيم الذى حمله الإسلام للبشرية يضمن للإنسان أن يعيش آمنا فى حياته ويقربه من كل ما يريح قلبه ويطمئن نفسه ويبعده عن الشقاء والمتاعب. فالإنسان الذى يأتمر بأوامر الإسلام وينتهى عن نواهيه يصون نفسه ويزكيها. قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾. سورة طه ١٢٣.

أرجو أن أحقق من خلال هذا الكتاب رؤية الإسلام للسعادة التى يقدمها للبشرية من خلال الفهم الصحيح والتطبيق العملى للجهاد الأكبر والجهاد الأصغر كما ورد فى الكتاب العظيم (القرآن الكريم)، والسنة النبوية المطهرة.

* * *